دعائم الطب الروحاني

وصفنا في العدد الماضي من المقتطف ما حبيناهُ بالطب الروحاني وسلمنا بصحة بعض ما يروى عن فعلهِ اي بان الذين يعالجون بهِ قد يشفون من امراضهم ووعدنا ان نأتي على تعليل العلماء لما يقع من الشفاء وانجازًا لذلك نقول

قالت مسز ادي اشهر زعيمات الطب الروحاني باميركا انها كانت تذيب الملح في الماء وتقلل الملح وتكثر الماء حتّى لا يُشعر فيهِ بشيء من طعم الملوحة ثم تضع نقطةً واحدةً من هذا الماء في كوبة من الماء القراح وتسقيها للمريض بالحمّى التيفوئيديّة وهو في آخر درجاتها فيشفى . وقالت ايضًا ان امرأة اصيبت بالاستسقاء وقطع الاطباء الرجاء منها فعالجتها بادوية مخفّفة الى الدرجة القصوى ثم صارت تعطيها حبوبًا لا دواء فيها فجعل الشفاء يأتيها رويدًا رويدًا فأمرتها ان تنقطع عن اخذ هذه الحبوب فانقطعت يومين ثم رأت ان لا بدّ من اخذها فعادت اليها ولم يمضِ وقت طويل حتّى شفيت تمامًا ولا علاج لها غير تلك الحبوب التي لا دواء فيها . قالت مسز ادي ومن ثم اتّضح لي ان للعقل السلطة على البدن وان العقاقير الطبيّة لا تفيد شيئًا واستعمالها ضربٌ من العبث

وقول هذه المرأة حجّة على ان الفاعل في الطب الروحاني انما هو العقل لا العلاج . الاّ انها أخطأت الخطأ الذي يقع فيهِ الكثيرون وهو استنتاج قضيّة كليّة من قضايا جزئيّة قليلة العدد والاقتناع بصحة هذه القضيّة الكليّة ثم اتخاذها دليلاً على صحة الحوادث التي تعلّل بها بدلاً من اتخاذ الحوادث دليلاً على صحتها وذلك انها رأت بعض المرضى شفوا ولا سبب لشفائهم الاّ تأثير عقولهم في ابدانهم فحكمت من ذلك حكمًا كليًا وهو ان اسباب الشفاء تكون دائمًا عقليّة وهو حكم مخالف لمقتضى العقل والنقل ولا يعمل بهِ الناس في شيء من اعمالهم فكم من فلاح اغتنى بالعثور على خبيئة في ارضهِ ولكن ما من احد يعلّق الغنى على الخبيئات . وكم من تاجر اثرى بانتشاب الحروب ولكن ما من احدٍ يعلّق اثراء التجار على الحروب وكم من رجل اغتنى في يوم واحد بنصيب اصابهُ من اوراق احد البنوك او الشركات التجاريّة وهذا النصيب لا بدّ وان يصيب احدًا ولكنهُ محدود يصيب واحدًا من الف او من مئة الف فلا يتّخذ دليلاً على ان الغنى انما يكون بنصيب من بنك او شركة تجاريّة

والذين يعالجون العلاج الروحاني يعتمدون اولاً على ما يسمّى بالطبيعة المطببة التي يعتمد عليها جميع الاطباء . قال السر جون فوربس وهو من أشهر اطباء العصر مشيرًا الى

المرضى الذين يعالجهم الاطباء المقتصرون على ما قلّ من العلاج ان اكثرهم يشفى بالطبيعة وليس بعلاج اولئك الاطباء وبعضهم يشفى بالطبيعة عصيًّا عن اولئك الاطباء لان معالجتهم تؤخر الشفاء بدلاً من ان تقدمهُ . وان جانبًا كبيرًا من الامراض يسير بغير علاج احسن ما يسير مع العلاج ولا سيما اذا كان العلاج من الادوية الشديدة الفعل

وهذا رأي كثيرين من مشاهير الاطباء المتقدمين والمتأخرين قال الشهير سدنهام انهُ يمكننا ان نترك للطبيعة اكثر مما اعتدنا ان نترك لها واذا قلنا انها في حاجة الى الصناعة فنحن في ضلال مبين . وقال المرجون مرشل اننا نعتمد على الطبيعة المطببة في التئام الجروح وجبر العظام . ومن المؤكد ان الطبيب لا يشفي مرضًا ولكنهُ يساعد اعمال الشفاء الطبيعيَّة الناتجة عمَّا في الاعضاء من القوة لحفظ نفسها فان الحي يعطى قوةً لحفظ نفسهِ حالما ينشأ فتبقى هذه القوة فيهِ مدى الحياة

فاذا تُرك المريض بلا علاج دوائي أُطلق العنان لهذه القوَّة الطبيعيَّة ونجا من اغلاط المتطببين . وقد يخسر كثيرًا من فوائد العلاج الذي يناسبهُ ولكنهُ ينجو من مضار العلاج الذي لا يناسبهُ فكم من دواء مكَّن من المريض الداء وابعد عنهُ الشفاء . قال بعضهم انك اذا راجعت قائمة الادوية المختلفة رأيت اجزاء كثير منها يقاوم بعضها بعضًا وتخبط في الجسم خبط عشواء ولا سيَّما ادوية الاطفال حتَّى قال الدكتور مرشل هول ان جانبًا كبيرًا من الادواء القتَّالة التي تصيب الاطفال يحدث من الادوية المهلكة التي يداوَوْن بها

ثم ان الذين يعالجون العلاج الروحاني يستفيدون من الغذاء والهواء والرياضة لانهم يؤمرون ان لا يفتكروا بامراضهم بل ان يأكلوا ويشربوا ويناموا ويتنزهوا كما لو كانوا اصحاء ومعلوم ان هذا يكفي في كثير من الامراض المزمنة التي لم تذعن للعلاج الدوائي . ويستفيدون ايضًا من الاعتقاد بقرب الشفاء فانهُ يرتح في ادهانهم انهم اصحاء لا مرضى بهم وينوى هذا الاعتقاد في نفوسهم بمعاملة الطبيب الروحي لهم فانهُ لا يدنو من سريرهم ولا يجس نبضهم ولا يقطب وجههُ بل يجس كأنهُ زائر اتى لمجرَّد الزيارة ويطلب من المريض ان يقصَّ عليهِ ما اصابهُ وهو يتبسَّم في غضون ذلك مظهرًا ان المرض كلهُ وَهْم محض ثم يصمت عشر دقائق او ربع ساعة ويأخذ بعد ذلك ينتع المريض انهُ سليم وما مرضهُ سوى وَهْم استولى عليهِ واذا كان الذين حول المريض من المعتقدين بصحة الطب الروحاني ساعدوهُ على الشفاء باعتقادهم واظهارهم الثقة بقول الطبيب والاَّ فبعض الاطباء الروحانيين يشير بنقل المريض من بينهم الى مكان آخر . ولكن الذين يستدعون طبيبًا من هؤلاء الاطباء ينتظرانهم يكونون

معتقدين به ولذلك فهم عون للطبيب على المريض . فيقول المريض في نفسه اذا كان غير موقن بالطب الروحاني ان هذا الطبيب قد شفى كثيرين على ما يقال فلسوف يشفيني انا ايضاً كما قد شفى فلاناً وفلاناً اللذين قطع الاطباء الرجاء منهما . اما الطبيب فيودّع المريض بعد ان يطمئنه ويشدّد عزائمه فينام تلك الليلة وهو ينتظر حضوره في اليوم التالي واذا كان مرضه يقتضي عملية جراحية زال من نفسه ما يجده من الرعب من سكين الجرّاح وامّل الشفاء بدونها ولا يصح الصباح حتى يظن انه قارب الشفاء ويقوى ظنه بتأكيد ذويه ذلك

ولعلّ اقوى المفوّيات لاعتقاد المريض ما يراه في الطبيب من الجرأة والثقة فانه يرى منه رجلاً يزدري بكل انواع الدواء والعلاج وجميع الوسائط الطبيّة فاما ان يروعه ذلك فيقاد اليه واما ان يغيظه فيحتقره ويغرمه ويستدعي طبيباً آخر

اما الذين يشفون عن بُعد فاما انهم يكونون عارفين ان الطبيب آخذ في شفائهم او لا فان كانوا عارفين فالشفاء من قبيل الشفاء الروحي المتقدم ذكره اي انه مبني على الطبيعة المطببة والاعتقاد والاّ فالفعل للطبيعة المطببة وحدها ولا دليل على انه يشفى من الذين يعالجون كذلك اكثر مما يشفى من الذين لا يعالجون ابداً فان المرأة التي قلنا في الجزء الماضي انها كتبت الى مسزادي تقول " لقد بعثت اليك الآن بخمس مئة ريال جزاء لفضلك " الخ لا يظهر من كتابها هذا انها شفيت من المرض الذي كان بها بل قد ثبت للدكتور بكلي انها لم تزل مريضة والآلام تشتد يوماً فيوماً

ومنذ نيف وأربعين سنة كتب المرحوم فوربس محرر الجريدة الطبيّة الانكليزية مقالة مسهبة اشار فيها باعطاء الادوية البسيطة الضعيفة التي لا تضرّ ولا تنفع وذلك حين يراد اراحة فكر المريض وتسكين جاشه وقال الدكتور ردكليف احد آحاد الاطباء الذين اشتهروا بنجاحهم في العلاج ان معظم نجاحه نتج عن التفاته الى عقل المريض واتأثير الادبي فيه وعلى هذا السبيل شفى كثيرون من الكهّان والدجالين الوفاً من المرضى من قديم الزمان الى الآن بين كل الشعوب الوثنيّة القديمة والحديثة ولا يزال الاطباء يشفون كثيرين من المرضى بلا علاج او بعلاج لا علاقة له بالداء . ذكر احد الاطباء انه لمّا انتشر الهواء الاصفر في اوربا منذ ستين سنة كان يعود المرضى نهاراً وليلاً حتى اعياه التعب وفي ذات يوم رأى عبداً مطروحاً في السوق مصاباً بالهواء الاصفر وهو على آخر رمق فناداه مستغيثاً به وكان يعرفه فلم يكن من الطبيب الاّ انه دنا منه واخذ يشتمه بسوطه فلما اوجعه ضرباً عنيفاً قام العبد معافى كأنْ لم يصبه شيء

وذكر الدكتور بكلي انهُ زار جماعة من الذين لا يعتمدون بالطب والعلاج وكان قد سمع عن تفشي الدفتيريا بينهم فسألهم كيف كانوا يعالجون المصابين فقالوا اننا ندخل محذع المصاب ونأخذ ننقد عيوبهُ واحدًا واحدًا فلا نمضي عليهِ ساعة حتَّى تهيج كل عواطفهِ ويغمرهُ العرق ثم يشفى بعد وقت قصير

وامثال هذه الحوادث كثيرة في كل مكان وزمان وبين كل الامم والقبائل وقد استفاد الاطباء منها الاستعانة بالطبيعة المطبة والافعال النفسيَّة على شفاء الامراض ولاسيَّما اذا لم يكن الداء ظاهرًا او لم يكن الدواء معروفًا . ولكن ليس من الحكمة ترك الدواء المثبت الفعل والاعتماد على وسائط لا تجري على وتيرة واحدة ولا يمكن التحكم فيها هذا اذا كان المرض حقيقيًّا واما اذا كان وهميًّا كما يكون مرارًا كثيرة فعلاجهُ الوهم ايضًا ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

الصخور المشجّرة

يرى الناظر في طبقات الارض وصخورها حجارة شبيهة بالاصداف والحلازين على اشكالها وانواعها بين صغير كحبوب العدس او اصغر منها وكبير ضخم يبلغ ثقلهُ ارطالاً كثيرة . وقد ثبت لدى الباحثين انها كانت اصدافًا وحلازين حقيقيَّة عائشة في البحار او النجيرات والانهار فماتت وانحلت مادتها اللحميَّة ورسب مكانها مادَّة ترابيَّة صخريَّة فصارت حجارة صمَّاء ولكن شكلها لم يزل على حالهِ تمامًا حتَّى يسهل تمييز انواعها بعضها عن بعض . ويرى ايضًا حجارة في شكل الحبوب والاثمار وبعضها بديع النقش تامُّ الزخرفة كانهُ صُنع صانع ماهر وهي ايضًا من حيوانات البحار الدنيئة المتفرعة تفرُّع النبات وقد ماتت في سالف الاعصار حينما كان البحر يغمر البر الذي وجدت فيهِ وانحلت مادتها الحيوانيَّة ورسب مكانها مادَّة صخريَّة . وقد يرى في طبقات بعض الصخور عظامًا ضخمة واجسامًا كبيرة وقد استحالت كلها الى مادَّة حجريَّة وبعضها لم يزل مجوَّفًا وباطنهُ مبطَّن بنصوص لمَّاعة كانها الدر النظيم وهي ايضًا من عظام الوحوش والتنانين الكبيرة التي عاشت في سالف الاعصار قبل ان وجد الانسان على وجه البسيطة . ويرى في بعض الصخور الكلسيَّة رسومًا كانها صور الاسماك وقد شقَّت من وسطها فظهرت عظامها واضلاعها وكل جزء من بنائها وهي رسوم اسماك حقيقيَّة نضب الماء عنها في غابر الازمان وغمرها الطين فماتت فيهِ وبليت ولم يبقَ الاَّ رسمها . والناظر في